مقابلة أدبية مع : الدكتور عبد السلام العجيلي

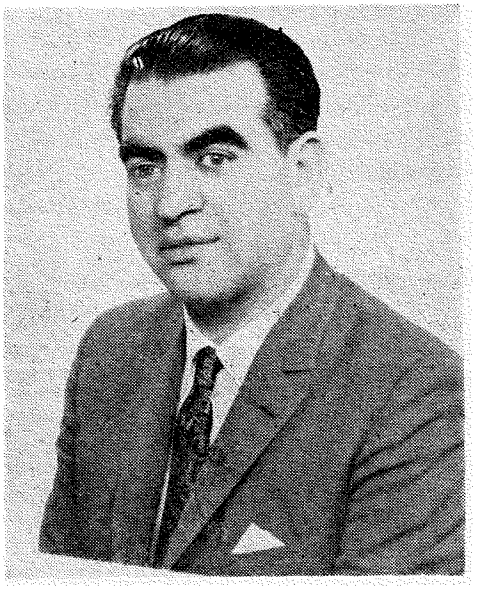

يعتبر الدكتور عبدالسلام العجيلي من أبرز الروائيين في العالم العربي الذين لهم وزنهم وقيمتهم فنيا وفكريا .. وهو اديب متعدد المواهب يكتب القصة القصيرة والرواية والشعر والمقالة والمقامة ايضا .. وقد قدم للمكتبة العربية عددا من الكتب وديوانا من الشعر،ومن ابرزنتاجهالقصصي « ساعة الملازم و « الخيل والنساء » و « باسمة بين الدموع » و« رصيف العذراء السوداء » و « فارس مدينة القنيطرة » ـ آخر ما صدر له . ويعد الآن مجموعة قصصية بعنوان « حكاية مجانية » ويكمل رواية من جزئين هي « قلوب على الاسلاك » .

وقد تمرس الدكتور العجيلي بالحياة العربية وخبر اعماقها عن قرب فعمل طبيبا ثم نائبا في مجلس النواب السوري وتقلد منصب وزير الخارجية في سوريا ، واخيرا عاد ألى مهنته الاولى طبيبا يجد فيها معينا لا ينضب لحياته الانسانية والفكرية والفنية جميعا .

واهم سمة تميز الدكتورالعجيلي اديبا انهينتمي بالاصالة الى امته العربية وتراثها الاصيل على سعة اطلاعه وعمق نظرته في العالم المحيط بنا فكرا وثقافة .

ـ ما رأيكم في القصة العالمية الحديثة ؟

ـ لست من قرائها . حاولت قراءة رواية اسمها « الدرجات » Les marches لميشيل بوكور وهو من طبقة « آلان روب غرييه » ولم أستطع اتمامها . هنري ميلر مثلا وهو روائي قديم حديث في آن واحد قرأت له رواية « Nenise » أتممتها وأنا في قراءتها بين المتعة والعناء ، ولكني آليت الا اقرأ له شيئا بعد ذلك ، لاني لا اريد ان تكون قراءتي القصصية مصدر جهد وتعب . ولقلة قراءاتي في القصة الحديثة فانني لا استطيع ان اعطي فيها حكما منصفا ، كل ما استطيع قوله اني لا احبها !

وفي رأيي ان هذا النوع من القصة لن يكتب له الاستمرار . ميزته الرئيسية هي الجدة والغرابة : الجدة ستذهب بمضي الايام ، فكل جديد يصبح قديما بعد حين ، والغرابة تزول مع الالفة . وكل هذا لا يعني ان هذا النوع من القصة لن يؤثر في الادب العالمي . اعتقد انه سيترك اثرا ، او انه ترك منذ الان آثارا في تكنيك القصة المقروءة والتي يصح ان يطلق عليها اسم قصة .

ـ هل يلزم بالضرورة ان نساير القصة العربية هذه الموجة منهجا وموضوعا ؟ ام ماذا ؟ وهل نجحت في رأيكم مثل هذه التجارب الحديثة في القصة العربية ؟

ـ الواقع ان قاصين عربا قد سايروا هذه الموجة اما تقليدا مباشرا واما لخضوعهم لظروف مثل التي حدت بالقاصين الغربيين الى خلق القصة الجديدة . والتقليد هو الاغلب . سمعت ولم أقرأ ان توفيق الحكيم ونجيب محفوظ قد كتبا قصصا من هذا النوع . ومن الناحية المبدئية أربأ بهما ان يسايرا الموضة وهما من القدرة والمكانة بأن يخلقا الموضة لا ان يتبعاها ، وهذا لا يعني ان ما كتباه في هذا المنحى ضعيف ، فقد يكون قويا ، ولكن ضعفه يأتي من تقليد القوي للضعيف او الكبير للصغير . كثير من القصص التي قرأتها من هذا القبيل فاشل ، ولكن بعضها مقبول ، وبعضها معجب ، وعندنا في سوريا فاصان نستطيع اعتبارهما من كتاب القصة الحديثة الناضجة وهما زكريا تامر ووليد اخلاصي .

ـ يرى البعض ان هناك ازمة في القصة العربية (رواية ـ قصة قصيرة) فما الاسباب ؟ وكيف السبيل الى تجاوز هذه الازمة ؟

ـ الحديث عن الازمة يعني انه كان هناك رخاء فتلاه الضيق الذي نسميه ازمة . متى كان الرخاء في القصة والرواية العربيتين ؟ لا اذكر انه كان ثمة رخاء مادي او معنوي . نحن لا نزال في الميدانين في طور التجربة . نستطيع ان نقول اننا بحالة فقر أدبي ، وسببالفقر ناجم عن مكونات الفرد العربي والمجتمعات العربية من الناحية الثقافية . نحن مائة مليون عربي مجزأون الى مجموعات متباعدة ، واذا جمعت كل من يمكنه من المائة مليون ، القراءة بصورة صحيحة ، القراءة الثقافية والادبية ، نجدهم لا يعادلون قراء دولة عدد سكانها ٥ ملايين . من هنا يأتي الفقر او الازمة المستديمة في القصة وغيرها . اعطني قراء اعطك الف كاتب وعشرة الاف كتاب في الرواية وغير الرواية .

اما العلاج فانه لن يخضع لمنطق هذه الايام الثوري . لا علاج الا بالتطور المستمر والتقدم المستمر نحو الافضل ، وهذا يحتاج الى

الزمـــن .

ـ يقرأ الناس نتاج القصة القصيرة والرواية الى حد ما ـ فيرون الرمزية تكاد تطغى على معظم هذا النتاج خاصة بعد نكسة حزيـــران ١٩٦٧ . ولانها تنضح بتشاؤم قاتم ومرير فهل سيكتب لها الاستمرار ؟ وما مستقبل هذه الطريقة في التعبير ؟

ـ لا يلجأ الكاتب الى التلميح الا حين يعجز عن التصريح . كلنا مدرك لحقائق أوضاعنا وللاسباب الصحيحة لهزائمنا ، ولكن مـــن يستطيع أن يصرح بما يقوله ؟ ولهذا نلجأ الى الرمز . اما التشـــاؤم فانه حصيلة الادراك لتلك الحقائق والاسباب .. ستظل هذه الطريقة متبعة ما دامت الافواه مكممة والحريات الحقة مختنقة .

ـ ثار من حين لآخر قضية اللغة . البعض يفضلون صياغـــة القصة بالفصحى ، والبعض يحبذون التعبير باللهجة المحلية ، وبيـن هؤلاء واولئك هناك من يرى أن السرد يكـــون بالفصحى والحـــوار بالعامية . نرجو ان توضح على ضوء تمرسكم بفن القصة موقفكم مـن هذه القضية والحلول التي ترونها .

ـ لو كتبت قصصا بلهجتي المحلية لما فهمها أحد خارج المنطقة التي انا منها ، وهي منطقة وادي الفرات والبادية بقربها . ولكن ابطالـــي البدويين يتكلمون الفصحى فيفهمها ابناء منطقتي كما يفهمها المصـري والمغربي . هذا هو الواقع الذي يبرر الكتابة بالفصحى ، عدا عـــن الواجب الذي يدعونا الى زيادة أواصر التفاهم بين العرب في كافـة اقطارهم بالحفاظ على اللغة التي تكاد تكون الرابط الوحيد بينشعوبهم المتباعدة تفوق في العمل التوحيدي حتى رابطة الدين نفسه في هذه الايـــام .

هناك سوء فهم لقضية صدق التعبير وكيفية ادائه . يقولون ان العامي يتكلم ويفكر بالعامية فكيف نقوله كلمات لا يمكن ان ترد عـــلى لسانه ؟ بالاساس ، القصة حكاية متخيلة ، لم تجر في الحياة عـلى حقيقتها ، فاذا أردت الصدق بحذافيره .. فلماذا تروي على النـاس أشياء لم تحدث ؟ واذا رويت للقراء العرب قصة احد ابطال فيكتـــور هيغو ، فانك تعلم ان هذا البطل تكلم بالفرنسية . فلماذا تقوله كلاما عربيا لم يسمع مثله في حياته ، ودعك عن النطق به ؟

هذا كلام يقال في مدخل النقاش والجدل ، ولكن الحقيقة تكمن في ان الذي يميز بين الفلاح والبدوي وابن البلد والطالب الجامعي والطبيب ، ليس المفردات اللفظية ، بل المفردات الفكرية . أعنـــي بالمفردات الفكرية ، الصور الفكرية وطريقة تمثل هذه الصور والتعبير عنها بالتشبيهات والكنايات بالمجاز . حين يصف البدوي ابتسامـــة حبيبة يشبهها بلمعة برق في ليلة شاتية ، ويقـــول المثقف انه أحس لتلك الابتسامة بأن جوقة سماوية كانت تعزف سمفونية رائعة .. هذا هو الذي يميز المثقف عن البدوي ، لا ان يلفظ الاول ما لشبهه باللغة الفصحى ويلفظه الثاني بمفردات بدوية لا يفهمها احـد غير ابنـــاء عشيرتـه .

في عدد شباط (فبراير) من العام الماضي (١٩٧١) كتبت فـي مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة السورية قصة عنوانهـا « حكاية المجانين » ابطالها قاص وسائق سيارة وثري من المدينـــة وبدوي ميسور الحال وزوجة نصف متعلمة ، تحاور هؤلاء الابطـــال ورووا قصص حياتهم باشكال مختلفة . بالطبع كان كلامي عنهموبلسانهم باللغة الفصيحة . وقد قرأت هذه القصة على حضور كثيرين فانسجموا جميعهم مع القصة وضحكوا مع ابطالها وتأثروا بأحزانهم ، ولم يعترض احد على اني قوّلت احدا من الابطال ما لا يمكن ان يقوله لاني أنطقتهم بالعربية الفصحى . ذلك ان طريقة التعبير لا المفردات نفسها هي التي ميزت هؤلاء الابطال عن بعضهم واسبغت على كل منهم صفته التـي هي منه وهو منها .

بعضهم يقول ان المواقف الكوميدية ستلزم وتزيـد اضحاكا اذا وردت بالعامية . ربما صح ذلك بعض الاحيان . ولكن الكاتب الموهوب يستطيع ان يضحك بالفصحى مثل العامية . أذكر أن قصص ابراهيم عبد القادر المازني كانت تضحكني اكثر من غيرها مما يؤديـــه بعض المهرجين باللهجة العامية . وحتى اذا صح ذلك فان الضحكاتالسخيفة التي تنتج عن اللعب السمج بالالفاظ العامية لا يستحق ان يعدل لهـا عن الفصحى . والتزامنا بها سمو في التعبير وواجب علينا تجـــاه ماضينا ومستقبلنا .

انا مع الفصحى في السرد والحوار ، عن ايمان وتجربه ناضجـة ومتفوقـــة .

ـ هل نستطيع ان نعرف على رأيك الخاص في انتاجك : القصة والشعر ؟ وأيهما تعتقد انه شغلك الاكبر ؟

ـ القصة والشعر ، مثل المقال والمحاضرة ، ومثل الحديث فـي جلسة مع الاصدقاء ومثل العمل اليومي ، كلها اشكال للتعبير عـــن ما اراه واعتقده وأحكم بأنه واجب عليّ ان افعله . ورأيي الخـاص اني كنت صادقا ، الى ابعد حد ممكن لي ، في تعبيري ، واني عبرت في كثير من الاحيان بموهبة وبمعرفة كبيرتين .

ولقد شغلت بالقصة اكثر من الشعر . اما سبب ذلك او تبريـر ذلك فقد بسطته في محاضرتي الاخيرة التي أشرت انت اليها والمنشـورة مؤخرا في « الآداب » (نشرت هذه المحاضرة تحت عنوان « نحو رؤيـة جديدة للقصة » في العدد السادس من « الآداب » ١٩٧١) .

يعتقد بعض الادباء العرب ان الانتماء لفكر سياسي معين ضرورة لازمة للكاتب ، بينمـا يرى البعض الاخر ان الكاتب يجب ان ينتمي الى الانسانية بمعناها الواسع والعريض . ما رأيكم في هذا الموضوع على ضوء تجربتكم السياسية سابقا ؟

ـ في المحاضرة المذكورة آنفا ، وفي صفحات كتابي « اشيـــاء شخصية » جواب على هذا السؤال ، وأزيد هنا ان تجربتي السياسية والنوع الذي مارست فيه هذه التجربة يتلاءم مع اسلوبي في التعبيـر ومعتقدي في التعبير . عملت نائبا وحكمت وزيرا وكتبت في السياسة دون ان التزم بمذهب سياسي معين وانما كنت اعتقد ان لكل مذهب سياسي في الغالب ، ناحية تتفق مع المثل الاعلى وانا آخذ بها وأتجنب نقاط الضعف في ذلك المذهب .

أزيد ان هذه هي طريقتي الشخصية ، وليس معناها اني ضـد طرائق الآخرين ، الا بمقدار ما ينحرفون عن الطريق السوي فيمـــا يرونه ويعبرون به وعنه .

ـ هل انت راض عن النقد الادبي المعاصر ؟ وما هو تصـــورك للارتقاء به ؟

ـ رضاي عن النقد الادبي المعاصر مرتبط بالرضى عن الحيـــاة الادبية والنتاج الادبي بصورة عامة . بمعنى ان النقد الادبي ، مثـل الادب نفسه ، يفتقد الى كثير من المقومات ليكون مرضيا . وفـي اعتقادي ان الارتقاء بالنقد الادبي أسهل امكانية وأقرب من الارتقـــاء بالادب . النقد صنعة اكثر منه فنا ، ومن السهل ان تحدد للصنعـــة

ضوابط . اما الفن فضوابطه يصعب تحديدها . ان الذين يتصدون للنقد الادبي في الوقت الحاضر في أغلبهم كتاب مبتدئون . ولا ألومهم في هذا ، فكل كاتب ناشيء يتوق الى بسط رأيه فيما يقرأ ويجد سهلا ان يرى أسمه منشورا ومعروفا ككاتب لا بابداعه الشخصي بل بحديثه عن المبدعين . واذ اعود الى ذكرياتي أجدني قد قارفت هذا الجرم في اول كتاباتي . ولكني على ما اذكر لم اكن متجنيا ولا قليل البضاعة في المعرفة الادبية فيما كتبت .

الوسيلة للارتقاء الادبي في رأيي ان يعهد في نقد النتاج الادبي الى نقاد متمرسين لهم سابقتهم في الابداع الشخصي كما لهم من المؤهلات الدراسية ما يجعلهم كفؤا لابداء الرأي في كتابات الآخرين . وانتقاء الناقدين يقع على عاتق رؤساء تحرير المجلات الادبية . واذا حدث وتعرض لنقد نتاج ادبي ناقد غير ممتهن ، أعني غير النقاد الرسميين ، فيجب ان يكون معروفا بكفاءته . يجب ان يقبل كناقد كل من احسن الكتابة كفن دون ان يحسن معرفة الادب بالدراسة والبحث . اننا بهذا الحصر نرتقي بالنقد الادبي ونرتقي بالادب نفسه كذلك . وأنا بهذا اشد تدقيقا على النقاد مني على الكتاب المبدعين . لرئيس تحرير مجلة ادبية ان ينشر لاي كاتب معروف او غير معروف ما دام يجد فيما يكتبه اثرا من موهبة . اما النقد فيجب ان لا يسمح به الا لمن يملك مؤهلاته .

هذا بالطبع ينطبق على نقد الآثار الادبية الجديدة او المتداولة . اما النقد كعلم ودراسة واستنتاج محصلات فانه عمليا لا يحتاج الا للاكفاء الذين يتهيأون له بالدراسات الجامعية . فليس متصورا ان كاتبا يستطيع أن ينشر كتابا في النقد ما لم تكن المؤهلات كافية ، وما لم يكن كتابه محتويا على ما يبرر طباعته ونشره .

ـ حدد لنا بعض الكتاب المبرزين في القصة والرواية على مستوى العالم العربي والقطر السوري ، تراهم اكثر نضجا واصالة .

ـ حكمي في هذا الموضوع ليس ذا قيمة كبيرة لانه لا يمكن ان يعطي صورة منصفة ، فقراءاتي للقصة العربية في الوقت الحاضر قليلة . اقرأ بعض الكتب التي تهدى الي وبعض ما ينشر في المجلات . والمجلات كثيرة كما تعرف ولا يمكن الاحاطة بها كلها . اذا تركنا الاسماء الكلاسيكية التي توطدت مكانتها منذ اكثر من عشرين عاما فمن بين الذين جذبوا انتباهي واعجابي « سليمان فياض » حين قرأت مجموعته « عطشان يا صبايا » بعد الدكتور يوسف ادريس . ومن سورية نجد زكريا تامر وفاضل السباعي وجورج سالم . وثمة قصصيون جدد اعرف اسماءهم لكثرة ما اقرأها او اسمع عنها ولكني لا اريد ان اتجاوز الصدق فأقول اني قرأت لهم بما يمكنني معه الحكم عليهم . او اني قرأت لهم ما اثبت انتباهي عليهم .

ـ في « اشياء شخصية » ألممنا بشيء عن نشأتك ـ ترى ما هي خطوات حياتك الان شخصيا واجتماعيا ؟

ـ أظن ان حياتي اصبحت قريبا من الاستقرار .. الذي لا أحبه ! الوسيلة الوحيدة التي املكها لتجديد حياتي هي الاسفار وتحول بيني وبينها المسؤوليات العائلية بالدرجة الاولى . وما يسير غالبية الناس ويدعوهم الى خوض المجهول وهو الذي يدعونه طموحا او ميلا الى الافضل ، أراه الآن واكثر من اي وقت مضى ، سخافة . الشيء الوحيد الذي اراه يستحق الاهتمام هو مصير الانسانية عامة وأمتي بصورة خاصة . ولكنك تعرف ان مصائب هذه الامة المتأتية من داخلها اصبحت محزنة وداعية الى الانطواء والتشاؤم . والتسلية الوحيدة هي الفن استمتاعا وأداء .. أعني قراءة وسماعا او كتابة وتأليفا . ليست هذه سوداوية ولكنه ادراك للواقع ومسايرة له .

(بقي من هذا الحديث بعضه آثرت الاحتفاظ به ، وقد يأتي ذلك اليوم الذي أنشر فيه ما تبقى من هذا الحوار الدسم . وقد فضلت ان انشر هذه المقابلة حرفيا رغم ما قد يطرأ من تساؤل او اختلاف في وجهات النظر بين آراء اديبنا الكبير وبين اراء غيره من الادباء والكتاب) .

القاهرة حلمي محمد القاعود

هيا الى الثورة

بقلم جيري روبين

ترجمة ريمون شاطي

جيري روبين الذي يعتبر « داعية الثورة الاكبر » هو مؤسس حركة اليبيز (وهي غير الهيبيين) واحد زعماء الجيل الاميركي الثائر في السبعينات . وكان قد قطع عشرين الف كيلومتر ليلتقي في كوبا بشي غيفارا الذي غبطه على حظه بان يعيش في قلب « ذلك الوحش » : الولايات المتحدة الاميركية . وكتابه هذا « هيا الى الثورة ! » هو « بيان » هذا الجيل الذي يفسد على اميركا نومها واحلامها ..

وهو « وثيقة » خطيرة على جميع الهموم التي تشغل الشبيبة الاميركية اليوم ، ابتداء من مناهضة الحرب الفيتنامية حتى الدعوة الى التحرير الجنسي وتعاطي المخدرات .. « ان الثورة انما تصنع فيما هي تتحقق » و« يجب مقابلة العنف بالعنف : « حين اغتال سرحان سرحان روبرت كندي ، فقد حطم اسطورة القوة الاميركية البيضاء .. لان تطرف السلطة الاميركية وسلطة آل كندي لا يترك للشعب الا اللجوء الى مثل هذا التطرف ...» و« نحن بحاجة الى حضارة يمارس فيها الناس بعض الاعمال الزراعية صباحا ، وبعض الموسيقى بعد الظهر ، والحب في ما بقي من وقت ..»

ومهما يكن في « نظريات اليبيز » من مغالاة تبلغ احيانا حد الشطط والجنون ، بالرغم من التزامها ، فهي ذات دلالة كبيرة على روح الثورة التي يواجه بها هذا الجيل الشاب المجتمع الاميركي الفاسد الذي لا بد من ثورة هائلة تعصف به ، وهي ، على ما يقول علماء الاجتماع ، آتية في ركاب ذلك الجيل الذي يعيش على الرفض والتمرد ، والذي يعبر جيري روبين في كتابه هذا عن مختلف نظرياته باسلوب ساخر جذاب يشد القارىء اليه من الدفة الى الدفة ..

صدر حديثا ٥٠٠ ق.ل.